







المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ السجين الهارب ..

اجتازت سيارة السجن حدود المدينة ، إلى طريق زراعىٍّ ضيِّق ، يقود إلى سجن (أسيوط) ، حيث يودع ــ عادةً ــ عتاة الإجرام ؛ لنقل مجموعة جديدة من النزلاء ..

وفجأة .. برزت أمامها سيارة ضخمة ، من نوع اللورى ، واعترضت طريقها ، وقبل أن يغادر الضابط المَنُوب سيارة السجن ، ليأمر سيارة اللورى بإفساح الطريق ، برز من اللورى ثلاثة مدافع رشَّاشة ، وانهالت رصاصاتها على سائق وجنود سيارة السجن ، فانبطح الضابط أرضًا ، وأخرج مسدسه للدفاع عن نفسه ..

وفجأة .. توقَّفت سيارة زرقاء خاصَّة ، خلف سيارة السجن ، وقفز منها أحد ركابها الأربعة ، وانبطح أرضًا بدَوْره ، وصوَّب مسدسه إلى الضابط ، قائلًا فى سخرية :

ــ لو أنك تسعى للانتحار ، فلا مانع لدينا .

استدار إليه الضابط فى سرعة ، ولكن خصمه كان أكثر

سرعة إذ انطلقت من مسدَّسه ثلاث رصاصات سريعة ، أردت الضابط صريعًا على الفور ، على حين قفز من السيارة راكب آخر ، ثبَّت فوق رتاج السيارة مفجرًا خاصًا ، ثم قفز متراجعًا ، وانفجر رتاج الباب ، فاندفع المساجين خارج سيارة السجن ، وحاول بعضهم تقديم شكره لمن أنقذوهم ، ولكن أحد المنقذين أطلق رصاصات مدفعه عند أقدام المساجين ، فتراجعوا فى دهشة وذُعر ، وسمعوه يقول :

ـــ ابتعدوا أيها الأوغاد ، فلم نفعل كل هذا من أجلكم .

تسمَّر المساجين فى أماكنهم لحظة ، بفعل الدهشة والحَيْرَة ، ثم لم يلبثوا أن أطلقوا لأرجلهم العنان ، واكتفوا بالفرار ، بدلًا من أن يشغلوا ذهنهم بهؤلاء المنقذين الغامضين ، وأهدافهم الجريئة العجيبة ، ولم يكد وقع أقدام فرارهم يتلاشى ، حتى نهض من ركن سيارة السجن رجل طويل القامة ، فى الخمسينات من عمره تقريبًا ، وخطَّ الشيب فَوْدَيْه ، وتحمل عيناه نظرة حادَّة ، تشف عن عنف وشراسة ، وتحرَّك فى كبرياء وصلف ، على الرغم من الأصفاد فى معصمية ، وكأنه لم يشعر بكل ماحدث ، ولم يكد يطلَّ من السيارة ، حتى صاح أحد المساجين فى جَذَل :

ـــ مرحبًا أيها الزعيم .

قفز الرجل إلى الأرض ، وقال فى غطرسة ، دون أيَّة لمحة من لمحات الامتنان :

ـــ أأحضرت معك سيجارى الخاص ؟

أجابه الرجل ، وهو يقدِّم إليه سيجارًا كوبياً فاخرًا :

ـــ ما كنت لأنساه أبدًا .

وضع السيجار بين شفتى زعيمه ، وأشعله وهو يبتسم ، على حين قال آخر فى قلق :

ـــ أليس من الأفضل أن نبتعد ، قبل أن يطاردنا رجال الشرطة ؟

قال السجين فى خشونة :

ـــ وماذا عن تلك القيود اللعينة ؟

أجابه الرجل :

ـــ سنخلِّصك منها فى الطريق أيها الزعيم .

دلف الزعيم إلى السيارة ، التى انطلقت به وبرجاله ، يتبعهم اللورى ، الذى يضمُّ باقى الرجال ، وقال الزعيم ، وهو ينفث دُخَان سيجاره الفاخر :

ـــ لقد تأخَّرتم كثيرًا .

أجابه أحد رجاله :

ـــ كنا ننتظر الوقت المناسب ؛ لإتمام العملية بنجاح .

ـــ أدبَّرتم وسيلة لمغادرة البلاد ؟

ـــ لقد دبَّرنا كل شيء .. ستكون فى (نابولى) الليلة أيها الزعيم .. والآن هل تسمح لى بتحريرك من أصفادك .

رفع الزعيم قبضته إلى أعلى ، وأخرج الرجل من جيبه مسدسًا خاصًا ، صوَّبه إلى الأصفاد ، وأطلق منه خيطًا من اللهب ، راح يذيب السلاسل الحديدية تدريجيًا .

* * *

توقَّفت سيارة فاخرة ، من طراز (رولزرويس) ، أمام فيلَّا أنيقة شاسعة ، تطلّ على شاطئ البحر فى(نابولى) فى الثانية بعد منتصف الليل ، وهبط منها الزعيم وثلاثة من رجاله ، وجذب هو نفسًا عميقًا من سيجاره ، وهو يتطلّع إلى الفيلَّا ، بملامحه المتجهِّمة ، وتقاطيعه الحادَّة ، وعلى الفور أضيئت الفيلَّا ، واندفع منها رجل بدين ، أصلع الرأس ، ترتسم على شفتيه ابتسامة واسعة ، وهو يفرد ذراعيه على جانبيه ، ليحتضن الزعيم ، هاتفًا :

ـــ مرحبًا بعودتك ياأخى العزيز (فالكونيتى) .. حمدًا لله على نجاتك .

بدا (فالكونيتى) باردًا تمامًا ، غير متأثر بذلك الاستقبال الحارّ ، ولم يزد على القول :

ـــ كيف حالك يا دون (جوديسيا) ؟

كان من الواضح أن (جوديسيا) معتاد على ذلك البرود ، وتلك الخشونة .. فلقد أطلق ضحكة عالية خاوية ، وهو يلف ذراعه حول خصر أخيه ، ويصحبه إلى الفيلَّا ، قائلًا :

ـــ كل شيء على ما يرام يا أخى العزيز .. كُن مطمئنًا ، كانت الأمور تسير كما لو كنت بيننا .

هتف الرجال المتراصون على جانبى باب الفيلَّا فى ترحاب :

ـــ مرحبًا بعودتك أيها الزعيم .

أجاب (فالكونيتى) تحيتهم برفع يده عاليًا ، وهو يتفرَّس وجوهم بملامحه الصارمة ، حتى دلف مع أخيه إلى الفيلَّا ، ودعاه أخوه للجلوس فى الرَّدهة الفسيحة الفاخرة ، إلى جوار نافذة زجاجية ضخمة ، تشرف على البحر ، وجلس (فالكونيتى) فوق أريكة وثيرة ، ومدَّ ساقيه على مقعد أمامه ، ودس سيجاره بين شفتيه ، فأسرع أخوه يشعله له بقدَّاحته ، قبل أن يجلس على المقعد المجاور له ، ويبتسم ، قائلًا :

ـــ لقد فعلها رجالنا إذن ، وانتزعوك من بين أيدى الشرطة المصرية !

تطلَّع (فالكونيتى) إلى البحر الممتد أمامه ، وقال :

— أولئك الأغبياء .. لقد تصوَّروا أنهم يستطيعون إلقاء (فالكونيتى) فى سجونهم .

تقلَّصت ابتسامة (جوديسيا) وهو يغمغم :

— ولكنهم أفسدوا خُطَّتنا ، لتهريب الذهب من (مصر) .

— ليس هذا ما يعنينى الآن .

— آه .. بالنسبة لأنصبتك ، من عملياتنا فى (إيطاليا) و(اليونان)، فلقد احتفظت لك بها كاملة و ...

نهض (فالكونيتى)، وواجه الشُرفة ، قائلًا :

— ليس هذا ما يعنينى أيضًا ، فهناك هدف واحد يشغل كل تفكيرى الآن ، ويحثنى على تحقيقه ، ومنحه الأولوية فى كل أعمالى .

— ما هو ؟

— أن أقضى على ذلك الضابط المصرى ، الذى ألقى القبض علىَّ هناك .

— أخى العزيز .. المهم هو أنك هنا الآن .. لقد عدت إلى (نابولى) ، ورجالك ينتظرون أوامرك ، لبدء عمليات جديدة ، فلا تقلق نفسك بمثل هذه الأمور الانتقامية و ...

استدار إليه (فاكونيتى) بحركة حادَّة ، وهتف والغضب يكسو ملامحه :

— لا أعمال قبل القضاء على ذلك الضابط المصرى .. لقد عاهدت نفسى على ذلك ، منذ وضع الأصفاد فى معصمىَّ ، وأذاقنى المهانة بلكماته .. انظر إلى أسنانى .

فتح فمه ، وأدناه من عينى أخيه ، الذى رأى فراغًا بين أسنانه ، إلا أنه حاول أن يهوِّن من الأمر ، قائلًا

— كل شىء يمكن تعويضه ، يمكنك استخدام أسنان صناعية ذهبية و ...

أنشب (فالكونيتى) أظفاره فى ذراعى أخيه ، وهو يتطلَّع إليه فى غضب ، قائلًا :

— إننى أكره هذا النوع من المزاح يا (جوديسيا) .. إنه ثأرى .. لقد أهاننى ذلك الرجل .. إنه الوحيد فى العالم ، الذى نجح فى إهانتى ، ووضع الأغلال فى معصمىَّ ، ولن أغفر له ذلك أبدًا .. لابدَّ من قتله .. لابدَّ .. لابدَّ .

شعر (جوديسيا) بالخوف من نظرات شقيقه ، فغمغم محاولًا التخفيف من انفعاله :

— حسنًا يا أخى .. سنسعى جاهدين لتحقيق رغبتك .. ما اسم هذا الضابط المصرى ؟

تخلَّى (فالكونيتى) عن ذراعى أخيه ، وعاد يتطلَّع إلى البحر طويلًا فى صمت ، قبل أن يقول فى صوت يحمل كراهية الدنيا كلَّها :

ــ (ممدوح) .. (ممدوح عبد الوهاب) ..

* * *



٢ ــ دعوة خاصَّة ..

انتهى (ممدوح) من تمارين العَدْو ، فى نادى (القاهرة) ، وأحضر إليه النادل مشروبه المفضَّل ، المكوَّن من مجموعة من العصائر الطازجة ، فداعبه (ممدوح) ، قائلًا :

ــ إنك لا تنسى مشروبى المفضَّل أبدًا يا (عزَّام) .

أجابه العامل ، ووجهه يحمل ابتسامة راضية :

ــ فى خدمتك دومًا يا سيادة المقدِّم .

لم تكد يد (ممدوح) تمتد نحو كوب الشراب ، حتى استرعى انتباهه وجود مظروف مغلق إلى جواره ، فسأل النادل فى اهتمام :

ــ ما هذا ؟

بدا وكأن النادل قد تذكَّر أمر المظروف بغتة ، فقد هتف :

ــ آه .. لقد أحضره إليك أحد أصدقائك ، وطلب منِّى تسليمه لك ، بعد أن تنتهى من تمارينك ، ثم انصرف على الفور .

أدهش ذلك (ممدوح) ، فلم يحدث أبدًا أن حضر إليه



لم تكد يد (ممدوح) تمتد نحو كوب الشراب ، حتى استرعى انتباهه وجود مظروف مغلق إلى جواره ..

أحد فى النادى ، سوى أصدقائه المقربين ، وكلهم معروفون هنا ، إلا أنه ــ وعلى الرغم من ذلك ــ شكر (عزَّام) فى هدوء ، وجلس على مقعد مجاور لحوض السباحة ، وفض المظروف ، والتقط من داخله رسالة تقول :

ــ «عزيزى المقدَّم (ممدوح) ..

لقد وصلك بالتأكيد نبأ فرار (فالكونيتى) ، بعد أن ألقيت القبض عليه ، وعلمت كيف تمت عملية تهريبه من السجن ، ومن (مصر) ، بكل براعة وإتقان ، مما أصاب كل أجهزة الأمن فى (مصر) بالسُخط والإحباط ، خاصةً بعد أن حققت لكم تلك العملية خسائر جمَّة ، فى الأرواح والمعدَّات ، إلا أننى أمنحك فرصة ثانية ؛ لتعويض هذا الفشل ، والثأر لزملائك .. ولو كنت تحتفظ بنفس الشجاعة والإصرار ، فستجدنى مستعدًّا لمعاونتك على القبض على (فالكونيتى) مرَّة أخرى ، ويكفى أن تستقل الطائرة إلى (روما) ، خلال الأيام القادمة ، وتتناول طعام عشائك هناك ، فى مطعم (ماريانى) يوم الخميس القادم ، فى تمام العاشرة ليلًا .. وعندئذ سنلتقى ، وأقودك إلى (فالكونيتى) ، وأعاونك على القبض عليه ، فأنا دومًا فى

خدمة حماة العدالـــة من أمثـــالك .. تحيـــاتى .. (نصير العدالة) » ..

وكانت هذه الرسالة تكفى ؛ لينطلق (ممدوح) على الفور ، إلى المكتب رقم (١٩) .

* * *

مسح اللواء (مراد) جبهته ، واكتست ملامحه بالشك ، وهو يقرأ الرسالة للمرَّة الخامسة ، قبل أن يضعها على مكتبه ، ويقول :

ـــ من الواضح أنه ليس نصير العدالة كما يدَّعى .

عقد (ممدوح) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـــ أعلم أنها فخ واضح ، ومحاولة من (فالكونيتى) للثأر منِّى ؛ لإلقائى القبض عليه هنا .

ـــ وهل ستذهب إلى الفخِّ بقدميك ؟

ـــ من الضرورى أن يعود (فالكونيتى) إلى هنا ؛ ليدفع ثمن جرائمه ، وما أصاب رجالنا من جرَّاء محاولة فراره ، واقتصادنا من تهريبه الذهب طوال السنوات السابقة .

ـــ ولكن المخاطرة كبيرة .

ـــ أنسيت أن عملنا يقوم على المخاطرة يا سيِّدى ؟

ـــ كلَّا يا (ممدوح) ، ولكن الأمر هذه المرَّة يختلف ، فأنت ستقوم بدور الفريسة، لا الصيَّاد ، وعدوّك ليس هيِّنًا .. إنه زعيم أقوى منظمة ذات وزن ونفوذ فى (إيطاليا) .

ـــ هذا صحيح .. ولكننى أثق فى كفاءتى أيضًا ، وأثق فى أن الفريسة قد تتحوّل فجأة إلى صيَّاد ، ومن حق المجتمع والعدالة أن يعود المجرم إلى هنا ، ليدفع ثمن جرائمه .

جَوَّل اللواء (مراد) فى الحجرة قليلًا ، وهو يعقد كفيَّه خلف ظهره ، ثم لم يلبث أن التفت إلى (ممدوح) ، وقال :

ـــ حسنًا .. إننى أوافق على قيامك بالمهمة ، بعد إتخاذ الاحتياطات اللازمة ؛ لتأمين تحرُّكاتك فى (رومـــا) ، فستواجه عصابات (المافيا) ، ولا ينبغى أن تواجههم بلا خُطَّة أو حماية .

نهض (ممدوح) من مقعده ، وواجه رئيسه ، قائلًا :

ـــ فليكـن ذلك فى أضيـق الحـدود إذن ياسيِّدى ، فـ(فالكونيتى) ورجاله ليسوا بالسُّذَّج ، ولو لاحظوا ذلك ، فسينسف هذا كل شىء .

ـــ سنضع ذلك فى حسابنـا .. والآن توجَّه إلى الإدارة الفنِّيَّة ، فستحتاج إلى بعض الأجهزة والمعدَّات الخاصَّة .. فأنت لن تواجه رجالًا .. بل ستواجه ذئابًا .. أشرس ذئاب العالم ..

* * *

٣ ـ طعام الشَّيطان ..

توقَّفت سيارة الأجرة ، التى استقلَّها (ممدوح) ، أمام مطعم (ماريانى) ، وقبل أن يهبط منها ، ألقى نظرة سريعة على تلك السيارة الرمادية الصغيرة ، التى تقف إلى جوار الإفريز المقابل ، وبداخلها رجل هادئ ، انهمك فى لعق كوب من الكريمة المثلَّجة ، ونقد (ممدوح) السائق أجره ، ثم اتجه إلى المطعم ..

وعلى الرغم من أن المطعم متواضع ، بالنسبة لمطاعم (روما) الفاخرة ، إلا أنه كان يحتفظ بذلك الطابع التقليدى ، الذى كان يميِّز مطاعم الطبقات الراقية ، فى مطلع هذا القرن ..

ولقد اختار (ممدوح) مجلسه إلى جوار الواجهة الزجاجية للمطعم ، وراح يتصفَّح وجوه الجالسين ، وكان أوَّل ما استرعى انتباهه فى البداية ، هو قِلَّة الرُّوَّاد ، وخُلُوّ موائدهم من صحائف الطعام ، مع اكتظاظها بالأكواب ، وزجاجات الشراب ، وبدا له أن بعضهم يتفرَّسه فى دقَّة وإمعان ، فحاول

أن يتشاغل عنهم بالتطلُّع إلى الطريق ، إلا أن الظلام فى الخارج ، والستائر الزرقاء الثقيلة ، التى تغطى المطعم ، حالت دون ذلك ، فعاد يدير عينيه إلى الداخل ، ولم يلبث أن فوجئ بالنادل يضع أمامه طبقًا كبيرًا من المكرونة الإيطالية ، وشرائح اللحم ، فابتسم قائلًا :

ـ إننى لم أطلب أيَّة أطعمة .

سمع صوتًا من خلفه ، يقول :

ـ لا أحد يرفض (الاسباجتى) على طريقة مطعم (ماريانى) .

التفت (ممدوح) إلى مصدر الصوت ، ورأى رجلًا قصير القامة ، أنيق الملبس ، له شارب قصير ، وشعر مصفَّف فى عناية ، وعلى وجهه ابتسامة صفراء ، فسأله وهو يجلس إلى جواره .

ـ أأنت نصير العدالة ؟

قال الرجل فى سخرية :

ـ وأنت البطل المغوار ، الذى يقاتل من أجلها .. أليس كذلك ؟

تجاهل (ممدوح) سخريته ، وهو يقول :

— لقد جئت فى موعدى تمامًا ، طبقًا لرسالتك .. والآن ماذا يمكنك أن تمنحنى من معاونة ؟

أجابه الرجل بنفس اللهجة الساخرة :

— دَعْنا نتناول طبق (ماريانى) الشهير أوَّلًا .

ممدوح :

— ليست لدىَّ شهية لذلك ، فلم أحضر إلى (روما) لتناول (الاسباجتى) .

ارتفع صوت خشن من خلفه ، يقول :

— لا يحُقُّ للضيف أن يرفض دعوة مضيفه .. تناول عشاءك أيها المقدَّم ، فربَّما كان العشاء الأخير .

دفع الصوت (ممدوح) إلى أن يلتفت فى حِدَّة ، ورأى أمامه (فالكونيتى) بقامته المديدة ، وقسماته الحادَّة ، ونظراته النارية ، فهتف :

— أهو أنت ؟!

جلس (فالكونيتى) فى مواجهته ، وهو يقول :

— نعم أيها المقدَّم .. هو أنا .. أأدهشك ذلك ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

— عدم تواجدك هو ما كان سيدهشنى ، فلم يكن لدىَّ

أدنى شك ، منذ البداية ، فى أنك صاحب هذه الدعوة :

— هذا يجعلنى أراجع آرائى ، بشأن ذكائك ، وأصرُّ عليها بشأن حماقتك وتهوُّرك .. لقد تصوَّرت أنك ستلقى القبض علىَّ مجدَّدًا .. أليس كذلك ؟

— بلى .. وهذا ما أنوى عمله بالفعل .

أطلق القصير ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

— إنه يثق فى نفسه أكثر من اللازم أيها الزعيم و ...

أجبرته نظرة (فالكونيتى) الصارمة على بتر عبارته ، وعاد هذا الأخير يرمق (ممدوح) بنظراته الثاقبة ، وهو يقول :

— أتعلم ما الذى أضفناه إلى طعامك ياسيادة المقدَّم ؟ إنه سُمُّ (الإريكستين) ، وهو سُمٌّ بطىء المفعول ، يدفع متعاطيه إلى آلام وعذاب رهيب ، لثمان ساعات كاملة ، قبل أن يلقى نحبه .. ولقد آليت على نفسى أن أقضى سهرتى إلى جوارك ، لأتمتَّع برؤيتك ، والسُّم ينهش أمعاءك ، فلقد حلمت طويلًا برؤية ذلك المشهد .

فوجئ (ممدوح) بقبضتين قويَّتين ، تقبضان على ذراعيه من الخلف ، على حين صوَّب إليه (فالكونيتى) مسدَّسًا

مزوَّدًا بكاتم للصوت ، واندفع القصير يفتشه فى دقة ، حتى انتزع مسدَّسه ، من جرابه المعلَّق أسفل إبطه .. وهنا تخلَّت القبضتان القويتان عن ذراعيه ، وصوَّب إليه القصير بدَوْره مسدَّسًا ، وارتسمت — لأوَّل مرة — ابتسامة على شفتى (فالكونيتى) ، وهو يقول :

— لعلك لاحظت أنه لا يوجد روَّاد بالمطعم ، وأن الجميع هنا من رجالى ، فضلًا عن لافتة بالخارج ، تقول إن المطعم مغلق ، وأنا أملك المكان فى الواقع ، باسم مستعار ، وهذا يَعْنى أنه لا سبيل أمامك للإفلات من هنا .. وعليك أن تختار ما بين السُّم والرصاص ، وبسرعة .

تردَّد (ممدوح) لحظات ، على حين بدأ (فالكونيتى) عدًّا تنازليًا ، من الرقم خمسة ، فى طريقه نحو الصفر .. وقبل أن يتمه ، حسم (ممدوح) أمره ، وبدأ فى تناول طعامه المخلوط بالسُّم ، فتألَّقت عينا (فالكونيتى) ، واتسعت ابتسامته الشرسة ، وراح يراقب (ممدوح) فى لهفة ، حتى احتقن وجه هذا الأخير ، وتشبَّث بحافة المائدة ، ثم لم يلبث أن سقط ، جاذبًا معه غطاء المائدة ، وهو يئن فى ألم ، فدفعه (فالكونيتى) بقدمه بعيدًا ، وراح يتطلَّع إليه فى شماتة ،

وانطلق رجاله يضحكون فى سخرية ، و (ممدوح) يزحف نحو الواجهة الزجاجية ..

وفجأة .. قفز (ممدوح) عبْرَ الواجهة ، وحطَّم زجاجها ، واندفع إلى الخارج ، وشهق المارة فى دهشة وذُعر ، وتعالت صرخاتهم ، وهم يتدافعون فى كل صوب ، بعد أن تطايرت رصاصات رجال (فالكونيتى) خلف (ممدوح) ، وأسرع نحوه حارسا المطعم ، وشهر كل منهما مسدَّسه ، ولكن سائق السيارة الرمادية الصغيرة غمرهما بوابل من الرصاصات ، أردى أحدهما صريعًا ، وأصاب الآخر ، وهو يفتح باب السيارة الخلفى ، ويهتف بـ (ممدوح) :

— أسرع .. أسرع ...

وثب (ممدوح) داخل السيارة ، وألقى جسده على مقعدها الخلفى ، على حين قفز سائقها خلف عجلة القيادة ، وأطلق لها العنان ..

وكان (ممدوح) يعانى آلامًا رهيبة فى أمعائه .. آلام السُّم ..

* * *

٤ ــ قطرات الحياة ..

غمغم (ممدوح) فى ضعف ، محدِّثًا منقذه :

ــ لولا وجودك لكنت الآن فى عداد الموتى يا (رءُوف) .

ــ الفضل يعود إلى خُطّة اللواء (مراد) ، وإن كنت أعتقد أنك ما كنت لتقع بين أيدى هؤلاء الوحوش ، مهما كانت الأسباب ، فأنت تملك سبعة أرواح مثل القط ، و ....

بتر عبارته بغتة ، حينما لمح فى مرآة سيارته ذلك الألم ، المرتسم على وجه (ممدوح) ، وهتف فى قلق :

ــ ماذا بك ؟

أجابه (ممدوح) فى ألم :

ــ لقد أجبرونى على تناول طعام مسمُوم .

امتقع وجه (رءُوف) ، وهو يهتف فى جَزَع :

ــ لماذا لم تتناول التِّرياق العام للسموم ؟

أجابه (ممدوح) ، والألم ينهش أعماقه :

ــ لقد جرَّدونى من مسدَّسى ، ومن زجاجة التِّرياق ، فى المطعم .. أمَعَكَ واحدة ؟

هتف (رءُوف) ، وهو يناوله زجاجة ، تحوِى سائلًا أخضر اللون :

ــ بالتأكيد .

التقط (ممدوح) الزجاجة ، ونزع سدادتها ، وأفرغ محتوياتها فى فمه ، ثم تهالك على المقعد ، واكتسى وجهه بعرق غزير ، وغمغم فى وهن ، وآلامه تتلاشى تدريجيًّا :

ــ شكرًا يا صديقى .. لقد أنقذت حياتى مرَّتين .

تطلَّع (رءُوف) إلى مرآة سيارته فى قلق ، وهو يغمغم :

ــ ولكن الخطر لم ينته بعد ، فهناك سيارة سوداء تتبعنا ، وهى تمتلئ برجال (المافيا) ، المدجَّجين بالسلاح .. إن الذئاب ترفض التنازل عن فريستها .

قال (ممدوح) فى حزم ، وقد استرد بعض حيويَّته :

ــ ناولنى بندقيتك الآلية .

ــ لماذا ؟

ــ سأسعى لتعطيلهم قليلًا .

ناوله (رءُوف) البندقية ، فحطَّم (ممدوح) بكعبها زجاج السيارة الخلفى ، وأبرز ماسورتها منه ، وأطلق النار نحو مقدّمة السيارة السوداء ، التى انحرفت عن الطريق فى قوة ،

وارتطمت بإحدى الأشجار على جانبه ، وانفجر خزَّانها ، فهتف (رءُوف) :

ــ إصابة موفَّقة يا سيادة المقدِّم ، ولكنها لم تنهِ المعركة ، فهناك سيارة أخرى ، بالإضافة إلى ما سنثيره من غضب الشرطة .

ــ سنتخلَّى عن السيارة إذن ، فى أوَّل منعطف ، ونواصل طريقنا عَبْرَ الغابة الجبلية على الأقدام .

تنهَّد (رءُوف) ، وتحسَّس عجلة قيادة السيارة ، وهو يقول فى أسف :

ــ يبدو أنه لا مناصَ من ذلك ، على الرغم مما دفعته السفارة المصرية ، ثمنًا لتلك السيارة الجميلة .

نعم .. لا مناصَ ..

* * *

غادر (ممدوح) حمَّام حجرته بالفندق ، بعد المجهود العنيف ، الذى بذله مع رفيقه ؛ للفرار من (فالكونيتى) وأعوانه .. وبينما كان يجفف شعره ، لاحظ حركة غير عادية ، فى حجرته ، فتسلَّل فى حذر خارج الحمام ، ورأى على ضوء القمر ظل شخص متوسِّط القامة ، يراقب الطريق من خلف ستار النافذة ، فانقضَّ عليه بخِفَّة النَّمر ، وأحاط وجهه



فانقضَّ عليه بخفة النمر ، وأحاط وجهه بالمنشفة ..

بالمنشفة ، ثم دفعه فى قوة ، ليرتطم رأسه بالحائط المجاور للنافذة ، فارتبك الرجل من فرط المفاجأة ، وترنَّح ، وعاجله (ممدوح) بلكمة ألقته فوق الفراش ، وهم بتسديد أخرى إليه ، لولا أن حجب الرجل وجهه بكفَّيه ، وهو يهتف :

— كفى .. كفى .. لست أضمر لك شرًّا .

أسرع (ممدوح) يضىء المصباح المجاور للفراش ، وألقى ضوءه على وجه الرجل ، الذى قال فى خوف ، وهو يتطلَّع إلى قبضة (ممدوح) المضمومة :

— أنا صاحب الرسالة ، التى تسلَّمتها فى (القاهرة) .. أنا (نصير العدالة) .

قال (ممدوح) فى سخرية :

— كم نصيرًا للعدالة فى بلادكم يا تُرى ؟ .. لقد التقيت منذ ساعات بشخص ، ادَّعى أنه نصير العدالة ، ثم إذا به يخيِّرنى بين الموت مسمومًا ، أو برصاصة .

غمغم الرجل :

— أتريد دليلًا .

أجابه (ممدوح) :

— بالتأكيد .

وفجأة .. أبرز الرجل من جيبه مسدَّسًا ، وصوَّبه إلى رأس (ممدوح) ، وهو يقول :

— حسنًا .. ها هوذا .

* * *



٥ ـ زائر الليل ..

انعقد حاجبا (ممدوح) فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى فوَّهة المسدَّس فى تحفُّز ، ولكنه فوجئ بالرجل يناوله المسدَّس ، وهو يقول :

ـ إنه مسدَّسك ، الذى أخذوه منك بالمطعم ، وذخيرته كاملة .

أسرع (ممدوح) يلتقط المسدَّس ، ووجده حقًّا مسدَّسه ، وخزانته تحمل كل الرصاصات ، فتطلَّع إلى الرجل فى حَيْرَة ، فقال :

ـ أظن هذا دليلًا جيِّدًا على حسن نيَّتى .. والآن هلَّا أضأت الأنوار .

أضاء (ممدوح) الأنوار ، ودعا الرجل للجلوس ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ من أنت ؟ وكيف حصلت على هذا المسدَّس ، ما لم تكن من أعوان (فالكونيتى) ؟

أجابه الرجل ، وهو يشعل سيجارته :

ـ لقد كنت بالفعل أحد رجال منظمة (المافيا) ، التى يديرها (فالكونيتى) .. ولتلك المنظمة ـ كما تعلم ـ قوانين صارمة ، لا يمكن تجاوزها أبدًا ، ومنها أنك إذا ما انضممت إليها ، فقد أصبحت جزءًا من كيان عضوى ، لا تنفصل عنه إلَّا بالبتر ، أو ما يُطلق عليه اسم (رابطة الدم) .. وحينما يطبع الزعيم قبلة الموت ، على وجنة أحد أعضاء المنظمة ، فهذا يَعْنى نهايته الحتميَّة ، وهذا ما حدث لـ (دومانى) ، واحد من أعز أصدقائى ، وبمثابة الشقيق لى ، حينما وشى ببعض أفراد المنظمة ، إثر وقوعه فى أيدى الشرطة الإيطالية .. ومن العجيب أنهم قد اختارونى بالذات لتنفيذ حكم الإعدام فيه ، على الرغم من معرفة (فالكونيتى) بعمق الصداقة بيننا ، وكأنما كان ذلك اختبارًا لإخلاصى ووفائى لهم ، ولم أكن أملك الرفض ، ولم يكن أمامى سوى تنفيذ المهمَّة ، مما أصاب نفسى بصدمة قويَّة ، عشت بعدها أسود أيام حياتى ، أجرع كأس الندم ، وأعضُّ على نواجذ الألم ، حتى اتخذت قرارى بضرورة الانتقام من (فالكونيتى) ، الذى أجبرنى على قتل (دومانى) ، ولكننى لم أكن ندًّا له أبدًا .. وحينما علمت أنك

قد ألقيت القبض عليه فى (القاهرة) ، عرفت أنك الرجل المناسب لتحطيمه ، وهـذا ما دفعنـى إلى السفـر إلى (القاهرة) ، وإرسال تلك الرسالة إليك .

ممدوح :

ـــ ولكن ماذا عن أولئك الـ ... ؟

ـــ دعْنى أكمل حديثى أوّلًا .. أرجوك .. لقد وقع ماكنت أخشاه ، وعلموا بأمر رسالتى لك ، ونلت قبلة الموت ، وصرت أنتظر نهايتى ، ولكننى نجحت فى الفرار منهم إلى الجنوب ، حيث اختفيت فى منطقة نائية ، ولم يمنعهم ذلك من استغلال رسالتى للإيقاع بك فى مصيدتهم ، وحينما بلغنى ذلك ، أيقنت من أن (فالكونيتى) سيقضى عليك بالضرورة ، ولكن صديقًا لى داخلهم أخبرنى بفرارك ، وأحضر لى مسدّسك ، فرأيت أن أخاطر بالقدوم إليك ، لأرى ما إذا كنت مصرًّا على المضىّ فى مهمتك .

ـــ وكيف عرفت أننى أقيم هنا ؟

ـــ لى وسائلى الخاصة .

ـــ ألهذا جئت متستّرًا بالظلام ، ووقفت تراقب الطريق من النافذة ؟

ـــ بالضبط .

ـــ قصة جيّدة ، ولكنها غير محبوكة تمامًا ، وفيها بضع نقاط غامضة ، إلّا أننى سأتظاهر بتصديقها .. والآن ما نوع المساعدة ، التى يمكنك تقديمها لى ؟

ـــ سأدلك على وسيلة التسلُّل إلى منزل (فالكونيتى) فى (نابولى) ، وهذا أقصى ما يمكننى تقديمه لك .. وينبغى أن تعلم فى البداية ، أنه من الضرورى أن تذهب إليه مسلّحًا .

ثم أطفأ سيجارته ، قبل أن يردف :

ـــ إن أمثال (فالكونيتى) تحرسهم الذئاب والثعالب .. ويملكون خصائص الاثنين .

* * *

جلس دون (جوديسيا) فى فيلا (نابولى) الأنيقة ، يستمع إلى مكالمة عاجلة من (روما) ، على حين وقف (فالكونيتى) على بعد خطوات منه ، والاهتمام يبدو واضحًا فى ملامحه ، حتى أنهى الأوّل المحادثة ، والتفت إلى أخيه ، قائلًا :

ـــ لقد نجح (برتينو) فى مهمته ، وما هى إلا بضع ساعات ، ويصل ذلك المصرىّ إلى هنا .

زفر (فالكونيتى) فى ارتياح ، وقال :

ـــ لو لم يكن (برتينو) صادقًا ، فسيدفع حياته ثمناً لذلك ، ولابدَّ لى من أن أقضى على ذلك المصرى بأى ثمن .

نهض (جوديسيا) من مقعده ، واقترب من أخيه ، ووجهه يحمل ملامح عدم الارتياح ، وقال :

ـــ قلت لك منذ البداية أن تترك لى هذا الأمر ، وأن تتخلَّى عن تلك الأساليب المسرحية ، التى استخدمتها فى (ماريانى) ، وأن تلجأ إلى الأساليب السريعة المباشرة .

وفتح درجًا مجاورًا ، والتقط منه مسدَّسًا ضخمًا ، قدَّمه لأخيه ، قائلًا :

ـــ بضع رصاصات من هذا ، تنهى الأمر فى لحظات .

برقت عينا (فالكونيتى) ، وهو يتفحَّص المسدَّس ، على حين جلس (جوديسيا) فوق مقعد قريب ، وألقى إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يستطرد :

ـــ وبعدها نلتفت إلى مصالحنا وأعمالنا .

مرَّر (فالكونيتى) يده على المسدَّس ، وهو يقول فى لهجة وحشية :

ـــ فقط عندما أقضى على ذلك المصرىّ .. عندئذ فقط تعود (المافيا) إلى طبيعتها .

* * *

على الرغم من عدم اقتناع (ممدوح) برواية الرجل ، وشكه فى صدق نواياه ، إلا أن الإصرار والتصميم فى أعماقه دفعاه إلى الذهاب إلى وكر الشيطان ، بحثًا عن (فالكونيتى) ، ولقد ترك سيارته مع (رءوف) ، على بعد عدة أمتار من الفيلَّا ، وهو يقول :

ـــ لا تتسرَّع ، أو تظهر فى وقت غير مناسب ، فقد أحتاج إليك فيما هو أهم .

غمغم (رءوف) :

ـــ كن حريصًا .

ارتدى (ممدوح) زِىّ الغوص الجلدى الأسوُد فوق ثيابه ، وغاص فى أعماق البحر ، وسبَح نحو فيلَّا (فالكونيتى) .. ولقد أدهشه ألا يجد أى نوع من الحراسة ، حينما وصل إلى هناك ، والفيلَّا مظلمة تمامًا ، والسكون يُخيِّمُ على المكان كله ، على نحو مثير للشك ..

وسرعان ما تخلَّص (ممدوح) من زِىّ الغوص ، وأخفاه

خلف بعض الشجيرات ، ثم أسرع نحو الباب الخلفى للفيلَّا ، فعالجه فى سرعة ومهارة ، حتى فتحه ، ودلف منه إلى ما يشبه المخزن ، وعلى الرغم من ظُلمته الدامسة ، إلَّا أن كثرة أتربته ، وتلك المهملات داخله ، جعلت (ممدوح) يُوقِنُ من أنه داخل مخزنٍ قديم ، ووفقًا لخطة مرشده ، دفع (ممدوح) باب المخزن ، ووقف لحظات ينصت فى اهتمام ، وتريَّث طويلًا ، وقد أثار السكون الرهيب شكوكه ، ثم لم يلبث أن غادر المخزن ، وسار فى الرَّدهة الطويلة الممتدة أمامه ، حتى وجد إلى يساره سُلَّمًا ، راح يرتقى درجاته معتمدًا على حِدَّة بصره ، حتى بلغ بابًا مغلقًا ، دفعه فى حذر بالغ ، فانفتح أمامه فى يسر ، وقاده إلى حجرة فسيحة ، دلف إليها على أطراف أصابعه ، و ...

وفجأة .. سطعت الأضواء ، وارتفع صوت حادّ يقول :

ــ مرحبًا بك فى منزلى أيها المصرىّ .

التفت (ممدوح) إلى الخلف فى سرعة ، ورآه ..

رأى الشيطان نفسه ..

رأى (فالكونيتى) ..

* * *

٦ ــ رصاصات على الشاطئ ..

ارتسمت ابتسامة شرسة شامتة ، على شفتى (فالكونيتى) ، وهو يقول :

ــ الغبىُّ فقط من يدخل إلى المصيدة مرَّتين أيها المصرىّ ، وأنت فعلت .. ألقِ سلاحك أرضًا ، وإلَّا أطحتُ برأسك على الفور .

تظاهر (ممدوح) بأنه يهمّ بإلقاء مسدّسه أرضًا ، ثم أطاح به فجأة فى وجه غريمه ، وألقى نفسه خلفه ، ليدفع (فالكونيتى) إلى الجدار ، واضعًا ساعده الأيسر على عنقه ، وممسكًا رسغه بقبضته اليمنى .. ولكن (فالكونيتى) دفع ركبته فى معدة (ممدوح) ، وأعقبها بقدمه ، مما دفع (ممدوح) إلى إبدال خُطَّتِه القتالية ، ومحاولة ثنى ذراع خصمه خلف ظهره ، إلا أن خصمه قاوم فى شراسة ، ونجح فى تصويب مسدَّسه إلى صدر (ممدوح) و....

وأطلق النار ..

* * *

كانت دهشة الرجلين عظيمة ، حينما فوجئا بأن الرصاصات لم تصب (ممدوح) بأدنى سوء ، وأنها مجرّد رصاصات (فشنك) .. ولقد تغلب (ممدوح) على دهشته فى سرعة ، وعاجل خصمه بلكمة دفعته نحو الجدار ، ثم أسرع يلتقط مسدّسه ، ويصوِّبه إليه ، قائلًا :

ـــ قِفْ يا (فالكونيتى) .. لقد خسرت هذه الجولة .

رفع (فالكونيتى) .. ذراعيه فى سخط ، وهو يقول :

ـــ أتظن أن الموقف قد تحوّل تمامًا إلى صالحك .. كلَّا .. رجالى فى الطريق إلى هنا ، ولن يمكنك الإفلات منهم أبدًا .

قال (ممدوح) فى ثقة :

ـــ سأجعل منك درعًا لى ، ونحن نغادر المكان معًا .

هتف (فالكونيتى) فى تحدٍّ :

ـــ لن يمكنك إجبارى على شىء .

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ـــ لا تنس أن مسدّسى يحوِى رصاصات حقيقية ، ولا فارق لدىَّ فى أن أعود بك حيًّا أو ميتًا .

تردَّد (فالكونيتى) لحظة ، ثم لم تلبث ابتسامة صفراء أن ارتسمت على شفتيه ، وهو يتطلَّع إلى ما وراء (ممدوح) ،

الذى ألقى نظرة سريعة خلفه ، وأدهشه أن رأى اللوحة الزَّيتية المعلقة بالحائط تنزاح جانبًا ، وتبرز من خلفها ماسورة مدفع آلى ، وسمع (فالكونيتى) يقول فى تشفٍ :

ـــ ألم أقل لك انه من المحتمل ألا يسير الموقف كله لصالحك و ....

بتر عبارته بغتة ، حينما انطلقت ، من فوَّهة المدفع الآلى ، عدة رصاصات ، استقرَّت فى جسده ، فجحظت عيناه فى ألم وذهول ، وترنَّح لحظة ، ثم خرَّ ساجدًا على قدميه ، وسقط جثة هامدة ..

ووثب (ممدوح) خلف أحد المقاعد ، وانهمرت الرصاصات نحوه ، فراح يزحف نحو باب الحجرة ، ثم لم يلبث أن مرق منه إلى الخارج ، وانطلق يعدُو مبتعدًا .. ولم يكد يصل إلى أسفل السُلّم ، حتى أضيئت الفيلَّا بالكامل ، وارتفع صوت يصرخ :

ـــ اقبضوا عليه .. لقد قتل الزعيم .. قتل (فالكونيتى) .

وعلى إثر الصَّيحة ، اندفع نحوه أربعة رجال مسلحين ، بادرهم هو بإطلاق النارَ ، وأصاب اثنين منهم ، ثم قفز من حافة



بتر عبارته بغتة ، حينما انطلقت ، من فوّهة المدفع الآلى ، عدة رصاصات ، استقرّت فى جسده ..

الحاجز إلى الأرض ، وانتزع من حزامه قنبلة فسفورية ، ألقاها عند أقدام خصومه ، فانفجرت بضوء مبهر ، على حين قفز هو عَبْرَ النافذة ، إلى الحديقة ، ووجد شخصًا يندفع نحوه حاملًا سلاحه ، فبادره بركلة رشيقة قوية ، ودار على عقبيه ؛ ليطلق النار على آخر ، وحاول ثالث قتله ، إلا أن رصاصة (رءوف) أصابته فى مقتل ، من الشاطئ المقابل ، ووثب (ممدوح) فى الماء ، بدون زىّ الغوص ، وسبح حتى الشاطئ الآخر ، والرصاصات تنهمر حوله ، واستقبله (رءوف) هناك ، واتجه الاثنان إلى السيارة .. وفجأة أصابت رصاصة (رءوف) فى مقتل ، فهوَى جثة هامدة ، إلى جوار السيارة ، ومرقت رصاصة أخرى فوق رأس (ممدوح) ، فزحف أرضًا ، واحتمى بإحدى الأشجار ، والتقط بندقية (رءوف) ذات المنظار المقرِّب ، ووضع عينه على عدسة المنظار ، ورأى على الشاطئ الآخر أحد رجال (المافيا) يصوِّب إليه بندقية ذات منظار بدَوْرِه ..

وضغط الاثنان الزِّناد فى آن واحد ..

وسقط رجل (المافيا) ..

وانتهت تلك الجولة ..

انتهت بمصرع أحد رجال المكتب رقم (١٩) ..

* * *



٧ ـ اللُّعبة الغامضة ..

اكتسى وجه (ممدوح) بسحابة من الحزن ، وهو يراقب نقل جثمان زميله (رءوف) إلى طائرة (القاهرة) ، وشعر فى قرارة نفسه بمسئوليته عن مصرع رفيقه ، الذى كان مكلَّفًا تغطيته ، وهو الذى سعى الى هذه المهمة بإرادته ، وشعر أن مهمته لم تنته بوفاة (فالكونيتى) ، وإنما صمَّم على اعتبارها مستمرة ، حتى يقتصّ من الفاعل الأصلىّ ..

وعاد (ممدوح) أدراجه، وسط الجموع المحتشدة فى المطار ، محاولًا أن يلقى أحزانه خلف ظهره ، ويعيد ترتيب أفكاره من جديد ....

كانت أمامه عدة تساؤلات مُبهمة ، بلا حلول ..

أوَّلًا : ما حقيقة الدَّوْر ، الذى دفعوه إلى أن يلعبه ، فى تلك المسرحية الدمويَّة ؟ ، وما الأصابع التى تختفى خلف توزيع الأدوار ، التى نال (فالكونيتى) إحداها ؟ ..

وثانيا : من ترك لـ (فالكونيتى) ذلك المسدَّس ذا الطلقات الزائفة ؟ ومن قتله ؟ ..

هناك بالتأكيد من يستفيد من اشتراك (ممدوح) فى تلك اللُعبة .. أو من يستغل ذلك لمصلحته على الأقل ..

كان (ممدوح) يهمّ بركوب سيارته، حينما شاهد ذلك الرجل، الذى التقى به فى حجرته بالفندق، يستقلّ سيارة تقف خلف سيارته، فتظاهر أنه لم ير شيئًا، وانطلق بسيارته فى هدوء، فتبعته السيارة الأخرى، حتى انعطف فى طريق جانبى، واختبأ فى (جراج) سفلى، وأوقف سيارته وسط السيارات الأخرى المتراصَّة، حتى تبعته السيارة الأخرى، وتوقَّفت على مقرُبة منه، وهبط منها قائدها، حاملًا مسدَّسًا ضخمًا، واقترب من سيارة (ممدوح) فى حذر، وارتسمت الدهشة على وجهه، حينما لم يجده داخلها، فراح يبحث عنه وسط السيارات الأخرى ..

وفجأة .. برز (ممدوح) من خلف إحدى السيارات، وكال له لكمة قوية فى معدته، فانثنى الرجل، واحتبست فى حلقه صرخة ألم، وأطاح (ممدوح) بمسدَّسه بركلة ماهرة، والتقطه بسرعة فى الهواء، وصوَّبه إليه، قائلًا فى همس صارم :

ــ نادِ زميلك .

تطلَّع الرجل إلى فوَّهة المسدَّس فى خوف، وهو يهتف

مناديًا زميله (كاميللو)، الذى غادر السيارة بدَوْرِه، وهو يقول :

ــ ماذا هناك ؟.. لماذا تصرخ هكذا ؟

هوَى (ممدوح) على رأس الأوَّل بالمسدَّس، فسقط فاقد الوعى، وسمع (كاميللو) صوت سقوط زميله، فأخرج مسدَّسه فى تَوَتُّر، وراح يقترب من مصدر الصوت فى قلق وحذر، ثم لم يلبث أن تسمَّر فى مكانه، حينما سمع صوتًا آمرًا من خلفه، يقول :

ــ ألق مسدَّسك أرضًا، ودَعْنى أرى ذراعيك عاليتين، وامتثل فورًا، وإلَّا اخترقت رصاصتى رأسك بلا تردُّد .

ألقى (كاميللو) مسدَّسه على الفور، ورفع ذراعيه عاليًا، مستسلماً، وألصق (ممدوح) فوَّهة مسدَّسه برأسه، وهو يقول :

ــ أمامك خمس دقائق ؛ لتشرح لى طبيعة تلك اللُعبة القذرة، التى دفعوك إلى إشراكى بها .. لقد كانت روايتك فى الفندق زائفة .. أليس كذلك ؟

ــ بلى .

ــ ومع ذلك أعدت لى مسدَّسى، وأرشدتنى إلى وسيلة

التسلُّل إلى فيلَّا (فالكونيتى) ، وأنت تعلم أننى سألتقى به هناك .

ـــ نعم .

ـــ وكنت تعلم أن مسدَّسه يحوى رصاصات (فشتك) .

ـــ كلَّا .. أُقسم لك إننى لم أكن أعلم ذلك .. لقد كلفونى أن أفعل ما فعلت معك ، ولكننى لم أكن أعلم السِّرَّ وراء ذلك .. ولقد تصوَّرت أنها مجرَّد خدعة أخرى لك .. أُقسم لك .. أُقسم لك إن هذا كل ما لدىَّ .

ـــ من قتل (فالكونيتى) إذن ؟

ـــ ماذا ؟!.. أنت قتلته بالطبع .

ـــ كفاك مراوغة .. أنتم تعلمون أن أحدكم قتله .

ـــ كلَّا .. كلنا نعلم أنك أنت قتلته ، ولدينا أوامر بمنعك من مغادرة (إيطاليا) حيًّا .

ـــ حسنًا .. من كلَّفك تسهيل مهمة دخولى إلى الفيلا .

ـــ لا يمكننى أن أخبرك .. هذا يخالف قانون (المافيا) .

جذب (ممدوح) إبرة مسدَّسه ، قائلًا فى صرامة :

ـــ سأمنحك حقَّ الاختيار إذن .. قانون (المافيا) ، أو حياتك .

هتف (كاميللو) فى ذُعر :

ـــ سأخبرك .. إله (فوتوريو) .. صاحب محلَّات لُعب الأطفال الشهيرة هنا ..

إنه أحد كبار رجال المنظمة .. أقسم أننى أقول الحقيقة .

غمغم (ممدوح) فى حزم :

ـــ وأنا أصدِّقك .

ثُم هوَى على رأسه بضربة قويَّة ، أسقطته فاقد الوعى ..

* * *



٨ — محل الموت ..

دلف (ممدوح) إلى متجر (فوتوريو) ، مرتديًا قبعة عريضة الحواف ، ومنظارًا شمسيًّا ، ولاحظ أن المتجر المقام على مساحة ضخمة ، مزدحم بطابقيه ، ولم يكن هناك ما يدعو إلى الدهشة فى ذلك ، فقد كان المتجر يحوى حقًّا مجموعة هائلة من لُعب الأطفال الرائعة .. ولقد توقَّف (ممدوح) أمام دُمية لدُب لطيف المظهر ، واقتربت منه إحدى البائعات ، وهى تقول بابتسامة واسعة :

— أيمكننى مساعدتك يا سيِّدى ؟.. أيَرُوق لك هذا الدُّب ؟

ابتسم ، قائلًا :

— لم أحسم أمرى بعد .

— ولكنه اختيار موفَّق يا سيِّدى ، فهذا الدُّب هو أحدث لُعبة ألمانية الصنع هنا .

— أترين ذلك ؟

— بالتأكيد .. كم عمر طفلك بالضبط ؟!

— لست واثقًا بالتحديد ، ولكن أظنه لن يقل فى الغالب عن أربعين عامًا .

حَدَّقت الفتاة فى وجهه بدهشة ، فابتسم مستطردًا :

— إننى أمزح بالطبع .. لقد أعجبتنى اللعبة ، وسأشتريها .. وبالمناسبة ، أيمكننى مقابلة صاحب المتجر ، لأعلن له إعجابى الشديد بمعروضاته ؟

— سنيور (فوتوريو) ليس هنا .. إنه يقضى إجازته فى منزله الريفى .

— أيمكنك إملائى عنوانه ؟

— يمكنك الحصول على العنوان من ....

قاطعها فجأة رجل ضخم الجثة ، سأل (ممدوح) فى غلظة :

— أترغب فى مقابلة سنيور (فوتوريو) ؟

— نعم .

— اصحبنى إذن .. إنه فى الطابق العلوى .

— عجبًا !!.. لقد قالت الآنسة إنه ....

قاطعه الرجل فى خشونة :



ثم سار فى صحبة الرجل إلى الطابق الثانى ، وهناك دفعه الرجل إلى حجرة جانبيه ..

— لقد سمعت ما قالته ، ولكن سنيور (فوتوريو) عاد من إجازته ، وهو الآن فى حجرة مكتبه بالطابق العلوى .

ارتسمت الدهشة على وجه الفتاة ، على حين أدرك (ممدوح) أن الأمر ليس مجرَّد محاولة لمعاونته وخدمته ، فقبضة الرجل القويَّة ، التى أطبقت على ذراعه ، وتلك النظرة القاسية فى عينيه ، كلها تشفّ عن معرفة الرجل لشخصيته ، وسيل من المتاعب فى انتظاره ، وعلى الرغم من ذلك فقد حافظ على ابتسامته وتماسكه ، وهو يقول :

— ألى أن أدفع ثمن اللُّعبة أوَّلًا ؟

دفع الرجل الدُّمية إلى صدر ممدوح ، وهو يقول فى خشونة :

— يمكنك اعتبارها هدية من صاحب المتجر .

أمسك (ممدوح) الدُّمية ، وابتسم ، قائلًا :

— لفتة طريفة منكم .

ثم سار فى صحبة الرجل إلى الطابق الثانى ، وهناك دفعه الرجل إلى حجرة جانبية ، وقف داخلها شخص نحيل ، يعبث بمدية حادَّة ، وآخر قصير ممتلئ ، انهمك فى ملء محقن بسائل أزرق .. وعلى الرغم من دقة الموقف ، قال (ممدوح) فى مرح :

ـــ مساء الخير أيها السادة .. من حسن الحظ أن يلتقى المرء بوجوه لطيفة كوجوهكم .

لكزه الضخم بماسورة مسدَّسه الكاتم للصوت ، وهو يقول :

ـــ أظنك قد استنتجت المصير ، الذى ينتظرك أيها المغامر المصرى .

ـــ بالطبع .. مع وجوه لطيفة كوجوهكم ، وأسلحة أنيقة كأسلحتكم ، يعلم المرء مصيره بالتأكيد .. ولكن من المؤسف أن ألقى هذا المصير ، قبل أن ألتقى بصاحب المتجر ، وأبدى له إعجابى بمعروضاته .

ـــ اطمئن ، سأنقل إليه إطراءك ، ولا أظنه سيبخل عليك بباقة من الزهور على قبرك .. والآن ماذا تختار ؟.. رصاصة فى القلب ، أم طعنة بخنجر (ماركو) ، أم حقنة سامة من (ماريو) ؟

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ أتعلم ما أكثر شىء أقدِّره فيكم ؟.. إنكم ديموقراطيون للغاية ، لا تبخلون على ضحيتكم أبدًا أن تختار وسيلة موتها .

قال الضخم فى سخرية :

ـــ المهمُّ أن تفعل فى ثلاث دقائق على الأكثر ، أو نتحوَّل إلى ديكتاتوريين .

ـــ أظن أننى أفضِّل الحقنة السَّامَّة .

وبينما كان يتحدَّث ، عملت أصابعه فى خفَّة ومهارة ، لالتقاط إبرة طويلة صلبة من ثيابه ، تحوى سمًّا سريع المفعول ، أخفاها بين يديه خلف الدُّمية ، حتى طلب من الضخم أن يشمِّر عن ساعده ، ليتلقَّى السُّم ، فابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ أتسمح بحمل هذه الدُّمية ، نيابة عنِّى إذن ؟

تصوَّر الضخم أن (ممدوح) أصيب بلوثة عقلية ، فمدَّ يده يتناول منه الدُّمية ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ لا تخف .. سأعتنى بها إكرامًا لك .

وفجأة .. دفع (ممدوح) الدُّمية إلى صدر الرجل ، وغرس الإبرة السَّامة فى قلبه ، فجحظت عينا الرجل ، وضغط زناد مسدَّسه مع آلامه ، إلَّا أن (ممدوح) قفز إلى الخلف كالإعصار ، ودفع (ماركو) إلى طريق الرصاصات ، التى أصابته ، فسقط جثة هامدة ، وتراجع (ماريو) فى رُعب ، قبل أن ينقضَّ (ممدوح) عليه ، وينزع المحقن من

يده ، ويهشّمه على الأرض ، ثم صوّب مسدّسه إليه ، قائلًا فى صرامة :

— والآن يا رجل .. لو أنك تكره أن أجبرك على لعق ذلك السائل السام ، فليس أمامك سوى أن ترشدنى إلى منزل صاحب المتجر ، فما زلت أصرّ على تهنئته بجودة معروضاته ..

* * *



٩ ـــ المصيدة الشيطانية ..

انطلقت سيارة (ممدوح) فوق الطريق الأسفلتى ، وسط الحقول ، تسابق الزمن للوصول إلى (فوتوريو) ، قبل أن يبلغه ما أصاب أعوانه ، وصورة (رءوف) وهو يلقى مصرعه تملأ عقل (ممدوح) .. لقد كان يعلم أن العملية كلها عبارة عن فخ ، ولكنه لم يكن يتصوَّر أن (فالكونتى) لم يكن الصيَّاد ، بل الصيد لصيَّاد آخر ، استخدم (ممدوح) كطعم للقضاء على الزعيم ، فى عملية شيطانية ، راح ضحيتها (رءوف) أيضاً ، وكاد (ممدوح) يلحق به ، ولكن من حسن حظه ، ومن سوء حظ المجرم ، أنه قد نجا ؛ فهو لن يتوانى عن مطاردته ، والاقتصاص منه أبدًا ..

وفجأة .. انتبه (ممدوح) من أفكاره ، على مرأى سيارتين كبيرتين تعترضان طريقه ، فضغط (فرامل) سيارته فى قوة ، ليتوقَّف على بعد متر واحد منهما .. ولم يكد يغادر سيارته ، حتى برز من خلف السيارتين أربعة رجال بأسلحتهم ، تقدَّمهم رجل

متوسط القامة ، مصفَّف الشعر فى عناية ، اختلط سواد شعره ببياضه ، وقال :

ــ بلغنى أنك تسعى لمقابلتى .. أنا (فوتوريو) .. ماذا تريد منِّى ؟

أجابه ممدوح فى جِدِّيَّة :

ــ دُمية الدُّب ، التى يبيعها متجرك ، بها عدة عيوب ، أحب أن أطلعك عليها .

حدَّق (فوتوريو) فى وجهه لحظة ، ثم أطلق ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

ــ أتحاول أن تمزح ؟.. اعلم إذن أنها أسخف دُعابة سمعتها فى حياتى .

ثم تحوَّل صوته إلى الصرامة ، وهو يستطرد :

ــ من حسن حظك أننى أكره رؤية الدماء .. سأمنحك عشر دقائق ، لتطلق لساقيك العِنان ، وبعدها سينطلق رجالى فى أعقابك ، ويؤسفنى أنهم لو محوا ، ظلَّك فوق العشب ، فسيتصوَّرون أنك قد سئمت الحياة ، ويهرعون إلى سفك دمائك على الفور .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ ولم لا يبدءون الآن ؟!.. أتخشى رؤية الدماء حقًّا ، أم أنك تخشى أن أخبرهم بأنك قاتل زعيمهم (فالكونيتى) ؟

ضاقت حدقتا (فوتوريو) ، وهو يقول :

ــ أتحاول استعراض ذكائك أيها المصرى ؟ .. كلنا نعرف أنك قاتل (فالكونيتى) ، وهؤلاء الرجال يتلهَّفون للفتك بك ، ولن يصدِّقوا كلمة واحدة تنطق بها ، فلقد كنت أصدق أصدقاء (فالكونيتى) .

ــ إذن فأنت (بروتس)(*) عصرك ، وتسعى إلى قتلى ، حتى لا أكشف أمرك .. أليس كذلك ؟

ــ حسنًا .. سآمر بقتلك على الفور ، ولن تجد حتى الوقت لتئن ألمًا .

ــ هذا لو أننى لم أتخذ احتياطاتى مسبَّقًا ، فأنا أعرف اثنى عشر رجلًا ، ممن يعملون لحساب منظمتك الإجرامية ، ولدىَّ صديق فى (روما) ، يستعد لإرسال اثنتى عشرة رسالة

(*) (بروتس) : كان من أقرب المقربين لـ(يوليوس قيصر) . أشهر أباطرة الدولة الرومانية .. ولقد شارك فى قتله ، مما أصاب (قيصر) بالذهول ، فألقى مقولته الشهيرة : « حتى أنت يا (بروتس) !» .

إليهم ، تحوى تفاصيل دورك فى التخلُّص من (فالكونيتى) ، ما لم أعد إليه هذا المساء .

ارتسم مزيج من القلق والريبة فى وجه (فوتوريو) ، وهو يقول فى عنف :

ــ أنت كاذب .

ابتسم (ممدوح) وهو يقول فى هدوء :

ــ لا داعى للانفعال ، فهو يفضح عن فحوى حديثنا الهامس ، خاصةً وقد بدأ رجالك يتطلَّعون إلينا بنفاد صبر .

حدَّق (فوتوريو) فى وجهه لحظات ، وتردَّد وهلة ، قبل أن يقول :

ــ يمكننا أن نتفاوض بشأن هذه الرسائل .. لو أنها موجودة بالفعل .

ــ اطلب من رجالك أن يخفضوا أسلحتهم أوَّلًا ، وينتحوا جانبًا .

ألقى (فوتوريو) الأمرين لرجاله ، فأصابتهم الدهشة ، مما دعاه إلى أن يصرخ فى وجوههم ..

ــ ماذا تنتظرون ؟.. ألم تسمعوا أوامرى ؟

امتثل الرجال لأوامره ، ووجوههم تحمل الشك والرِّيبة ، والتفت هو إلى (ممدوح) ، قائلًا :

ــ حسنًا .. أخبرنى بأمر الرسائل ، ولا تنْسَ أن رجالى مازالوا فى الجوار .

احتفظ (ممدوح) بهدوئه ، وهو يقول :

ــ للمرَّة الثانية ، دَعْنى أعيد إليك لُعبتك ، الزاخرة بالعيوب .

اتجه نحو السيارة ، ليلتقط الدُّمية ، فشهر (فوتوريو) مسدَّسه ، صائحًا :

ــ انتظر .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يلتفت إليه ، قائلًا :

ــ قلت لك لا داعى للانفعال .. يمكنك أن تتناول اللُّعبة بنفسك .

بدا الضيِّق والغضب على وجه (فوتوريو) ، وهو يقول فى حدَّة :

ــ ما تلك اللُّعبة التى تلعبها ؟

ــ عجبًا !!.. أتكره أن ألفت نظرك إلى عيوب معروضاتك ؟

اندفع (فوتوريو) نحو الدُّمية ، وانتزعها من مكانها فى عصبيَّة ، ولوَّح بها ، هاتفًا :

ـــ ها هى ذى تلك الدُمية اللَّعينة ، سألقى بها بعيدًا .

أشار (ممدوح) بسبَّابته ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ حذار يا عزيزى .. فلقد زوَّدتها بقنبلة إليكترونية خاصَّة ، ستنفجر فور تخلُّيك عنها بأيَّة وسيلة .

ارتجفت أصابع (فوتوريو) ، وحدَّق فى الدُمية برعب ، ثم تخلَّى عن مسدَّسه ، وتركه يسقط أرضًا ، وهو يحتضن الدُمية فى حرص وعناية ، مغمغمًا فى هلع :

ـــ أنت كاذب .. إنها مجرَّد خدعة .

أخرج (ممدوح) من جيبه قدَّاحة ، وهو يقول :

ـــ يمكنك أن تراهن على ذلك .

تصبَّب عرق الخوف على جبين (فوتوريو) فى شدة ، و (ممدوح) يتابع فى هدوء :

ـــ هذه القنبلة ، التى تمسك بها ، ستنفجر بإحدى وسيلتين .. إما أن تُفجّرها أنت ، أو أضغط أنا على زرّ التفجير ، فى هذه القدَّاحة ، والأمر يتوقَّف عليك فى الحالتين .

غمغم (فوتوريو) فى صوت شاحب مرتجف :

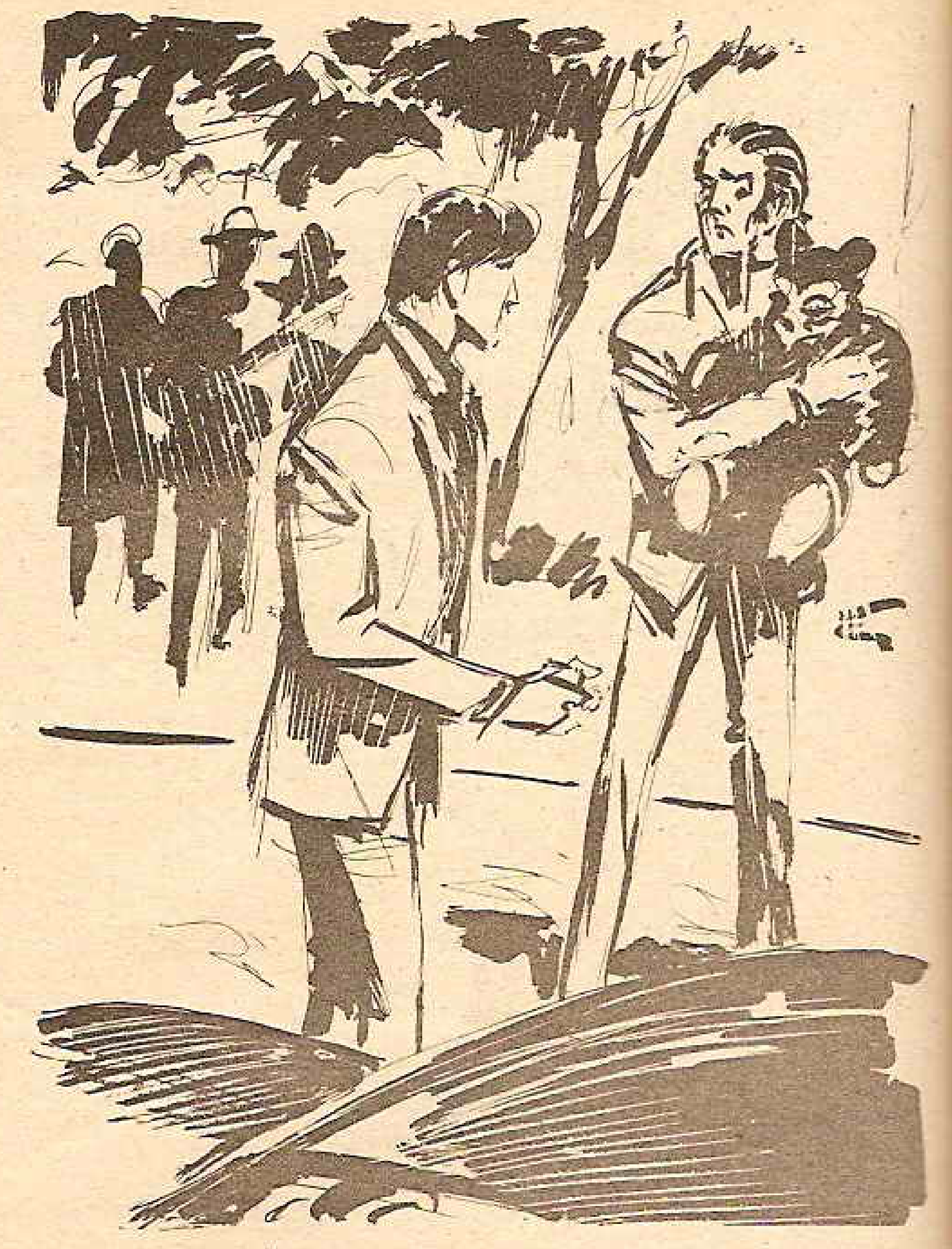
ـــ ماذا تريد منِّى ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ سؤال جيِّد .. ينمُّ عن ذكائك وتعقُّلك .. أريد منك أن تخبرنى عن حقيقة دورك فى مصرع (فالكونيتى) ، وأين ذهبت كميات الذهب ، التى تم تهريبها من (مصر) فى الأعوام الماضية .

تلفَّت (فوتوريو) حوله فى خوف ، قبل أن يهمس :

ـــ صدِّقنى .. لست سوى أداة ، أمَّا قاتل (فالكونيتى) الحقيقى ، فهو أخوه (جوديسيا) .. هو الذى دبَّر كل شىء .. أراد أن يتخلَّص من أخيه لينفرد بالزعامة ، وأن يلصق التُهمة بك فى الوقت ذاته ، والتَّخلُّصَ منك لتكتمل اللُّعبة .. فلقد كان الجميع يعرفون أنك قد جئت إلى هنا ، لمطاردة (فالكونيتى) ، والكل يعلم أنه قد أعدَّ لك كمينًا داخل منزله ، وكان الأمر سينتهى بعد تزويدك بمسدَّس كامل الذخيرة ، وتزويد (فالكونيتى) بمسدَّس يحوى رصاصات زائفة ، فتقضى أنت على الزعيم ، ويقتلك رجالنا بعد ذلك .. ولقد طلب منِّى (جوديسيا) أن أشاركه لُعبته ، بعد أن وعدنى بجزء كبير من أرباح المنظمة ، ولكن هروبك أفسد مخطَّطنا ، وتحولَّت أنت إلى مصدر خطر .. فلو أنك نجحت فى إقناع الآخرين ؛ بأنك لست قاتل (فالكونيتى) ، فسيثير



شعر (ممدوح) بالدهشة ، وهو يستمع إلى تلك التصريحات الوحشية ، التى تهون أمامها كل الروابط ..

ذلك التساؤلات ، وقد تحيط الشكوك بـ (جوديسيا) ، بعد أن انفرد بالزعامة ، فينكشف أمره ؛ لذا بات من المحتَّم التخلُّص منك ، لتأخذ سرَّك إلى القبر ، وبعدها يأتى دور ذلك الرجل ، الذى سلَّمك المسدَّس ، فى حجرتك بالفندق .

شعر (ممدوح) بالدهشة ، وهو يستمع إلى تلك التصريحات الوحشية ، التى تهُون أمامها كل الروابط الانسانية ، فيقتل الشقيق شقيقه ، والزميل زميله ، من أجل الثروة والسطوة .. وأدرك أن الشرَّ وحش ضخم ، ينتهى به الأمر دومًا إلى التهام أعضائه واحدًا بعد الآخر .. ولقد شعر بغُصَّة فى حلقه ، وهو يسأل :

ـــ وماذا عن الذهب ؟

ـــ (جوديسيا) هو الذى يسيطر على كل شىء الآن ، وسوف ينقل جزءًا كبيرًا من الذهب إلى جزيرته الخاصة ، على متن يخته ، حيث يُودعه فى حساب سرِّىّ خاص ، فى أحد بنوك (سويسرا) .

اتجه (ممدوح) نحو السيارة ، ودلف إليها ، مغمغمًا :

ـــ حسنًا .. هذا يكفى .

هتف (فوتوريو) فى رُعب :

— وماذا عن القنبلة ؟

طوَّح (ممدوح) بالقدَّاحة وسط الحقول ، وهو يقول :

— دَعْ رجالك يبحثون لك عن زرِّ الأمان .

وانطلق بالسيارة وسط دهشة الجميع ، ورُعب (فوتوريو) ، وهو يبتسم فى سخرية ، مغمغمًا :

— أظنه سيقضى وقتًا طويلًا ، قبل أن يكشف أنها مجرَّد دُمية عاديَّة ، وأن القدَّاحة كذلك ، مجرَّد قدَّاحة عاديَّة .

ثم أطلق ضحكة ساخرة قصيرة .

* * *



١٠ — جزيرة الشَّرّ ..

أوقف (ممدوح) سيارته عند أوَّل محطة وقود ، واتجه نحو هاتف المحطة ، وطلب رقمًا خاصًا ، يحفظه عن ظهر قلب .. ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى قال :

— أنا المقدَّم (ممدوح عبد الوهاب) ، من إدارة العمليات الخاصَّة المصريَّة .. أريد التحدُّث مع مدير أمن العاصمة .

— لماذا ؟

— لأمر سرِّىّ ، بالغ الأهمية والخطورة .

— حسنًا .. انتظر قليلًا .

راح (ممدوح) يتطلَّع إلى ساعته فى قلق ، حتى جاءه صوت الشُّرطى ، يقول :

— مدير الأمن يتحدَّث إليك .

وسمع صوتًا يقول فى اهتمام :

— مرحباً بك فى (إيطاليا) أيها المقدَّم .. هل من خدمة يمكننا تقديمها إليك .

قال (ممدوح) فى جدِّيَّة :

ـــ اسمعنى جيِّدًا يا جنرال ، فليس لدىَّ ما يكفى من الوقت لشرح التفاصيل .. إننى فى طريقى الآن إلى جزيرة (بلانكو) ، على الساحل الإيطالى ، حيث يقطن دون (جوديسيا) وأعوانه .. ولو أنك تنشد نصرًا عظيمًا ، فاحشد ما تستطيع من ضباط وجنود ، وأعدّ عُدَّتك لمهاجمة الجزيرة بعد بضع ساعات ، وسيكفل لك هذا إلقاء القبض على أخطر زعماء (المافيا) ، واستعادة ذهب تربو قيمته على ثلثمائة مليون دولار ، ينوى ذلك الوغد تهريبها إلى (سويسرا) .. وأرجو بعد انتهاء العملية يا سيِّدى ، لو أننى لم أكن على قيد الحياة ، أن تبلغ القيادة فى (مصر) أننى أعتذر عن عدم طاعتى للأوامر هذه المرَّة ، وتذكَّر أنه من الضرورى أن تحصل (مصر) على ذهبها أوَّلًا .

هتف مدير الأمن :

ـــ ولكن ما هذا الـ ....

لم يسمع (ممدوح) باقى العبارة ، فقد أنهى المحادثة ، وركض نحو سيارته ، وانطلق بها مرَّة أخرى نحو هدفه ..

وكان قد لجأ إلى هذا الأسلوب ؛ ليستثير الأمن الإيطالى ، ويتجنَّب تعقيدات ، وروتينات الاتصال المباشر .

وبعد ساعة تقريبًا ، توقَّف (ممدوح) مرَّة أخرى ، بالقرب من منحدر صخرى ، وأخرج من حقيبة سيارته الخلفية مجموعة من المعدَّات ، علَّقها خلف ظهره ، ثم راح يصعد المنحدر ، حتى بلغ قمته ، فجلس يلهث ، ووضع منظاره المقرِّب على عينيه ، وأخذ يراقب الجزيرة ، ولمح اليخت الفاخر ، وهو يتهادَى بالقرب من صخور الشاطئ ..

فأخرج معداته ، وراح يجمع أجزاءها فى سرعة ومهارة ، حتى تكوَّنت لديه ، وبعد ثلث ساعة فقط ، طائرة شراعية صغيرة ، وقضى بعض الوقت يجرى حساباته حول المسافة وسرعة الرياح ، وأسعده انتشار الضباب هذه الليلة ، واحتواؤه القمر فى أحضانه الرَّمادية .. ولم يكد الظلام يسُود ، حتى كان يحلِّق بطائرته الشراعية فوق صفحة المياه ، ويقاوم الرياح ، ليهبط بالطائرة خلف الحاجز الصخرى للجزيرة ..

وكان له ما أراد ، فاستقرَّ على الجانب الغربى من جزيرة (بلانكو) فى هدوء ، وأخفى طائرته خلف أشجار النخيل ، وشهر مسدَّسه ، وراح يخطُو فوق رمال الجزيرة وصخورها فى حذر ..

وفجأة .. انطلقت من بين أشجار النخيل المتعانقة زمجرة ،

سمَّرته فى مكانه ، والتمعت أمامه أربعة عيون فى الظلام ، فأشعل مصباحه اليدوى فى سرعة ، ورأى ما جمَّد الدماء فى عروقه ..

رأى زوجًا من الكلاب الوحشية السوداء ، وقد برزت أنيابها الحادة ، وهى تتأهَّب لمهاجمته .. وقتله ..

* * *

كان (ممدوح) يعرف الكثير ، عن هذا النوع من الكلاب ، وما تتميَّز به من وحشية وشراسة ، وكان من الواضح أنها مدرَّبة على القضاء على الدخلاء ، وتمزيقهم شرَّ ممزَّق .. ولاريب أنهما قد اشتما رائحته ، فأسرعا نحوه ، لأداء مهمتهما ..

وكان عليه أن يتصرَّف سريعًا فى مواجهتهما ، دون جَلَبَة أو ضجة ، حتى لا يلْفتَ أنظار الآخرين إلى وجوده بالجزيرة ، وشعر بالندم ، لأنه لم يزوِّد مسدَّسه ــ كالمعتاد ــ بكاتم للصوت ، مما يعجزه عن استخدامه ، حتى لا يعلن عن وجوده ، ويفقد عنصر المفاجأة .

وفجأة .. تذكر تلك الإبر ، ذات الرءوس السامَّة ، فى بطانة سترته ، وتحرَّكت أصابعه نحو موضعها فى حذر ، وتساءل لماذا يكتفى هذان الوحشان بالتطلُّع إليه ،

واستعراض أنيابهما ؟.. ربَّما لأنهما قد تلقَّيا تدريبًا متطوِّرًا للغاية ، يجعلهما ينتظران اللحظة المناسبة للهجوم ، ويرسمان خُطَّة لتوزيع الأدْوَار بينهما ..

وفجأة .. انقض الكلبان ..

انقضا بخطَّة مدروسة بالفعل ، فلقد قفز أحدهما نحو معصمه ، والآخر نحو .... عنقه ..





١١ ــ خُطَّة الشَّيطان ..

كان الأمر يحتاج إلى رجل مدرَّب ، وتصرُّف سريع ، ومن حسن الحظ أن (ممدوح) كان يملك الصفتين ؛ لذا فقد قفز جانبًا ، متفاديًا انقضاضة الوحشين ، وانتزع إبرتين سامَّتين من بطانة سترته ، وغرس إحداهما فى عنق الكلب الأوَّل ، الذى عاود القفز نحو عنقه ، وتركه يتقافز أرضًا فى ألم ، ثم دار على عقِبَيْه ، وغرس الإبرة الأخرى فى صدر الكلب الثانى ..

وانتهت المعركة بمصرع الكلبين ، وإصابة يد (ممدوح) ، الذى تابع سيره ، بعد أن ضمَّد جرح يده بمنديله ، حتى وصل إلى الجانب الشمالى للجزيرة ، حيث رأى عدة أشخاص ، يقفون على هيئة صفّ واحد ، أمام كهف عميق ، خلف أشجار النخيل ، ويتبادلون نقل عدد من الصناديق المعدنية ، من داخل الكهف ، ومن أحدهم إلى الآخر ، حتى اليخت الفاخر ، الذى يرسو بالقرب من الشاطئ الصخرى ، وكان من الواضح أن هذه الصناديق تحوى الذهب ..



قفز جانبًا ، متفاديًا انقضاضة الوحشين ، وانتزع
إبرتين سامَّتين من بطانة سترته ، وغرس إحداهما فى عنق الكلب الأول

وبينما انهمك فيما يحدث ، لم يشعر إلا وثلاثة مدافع رشَّاشة مُصوَّبة إلى صدره ، وصوت غليظ يقول :

ـــ ألقِ مسدَّسك أرضًا ، وارفع يديك عاليًا .

امتثل (ممدوح) للأمر ، وهو ينقِّل بصره بين فُوَّهات المدافع الآلية ، وقدم الرجال الثلاثة إلى حيث يجلس (جوديسيا) بجسده البدين ، فوق مقعد وثير ، أمام الكهف ، يتابع فى شغف عملية نقل سبائك الذهب إلى الصناديق ، ونقل الصناديق إلى اليخت ، وقال أحد الرجال الثلاثة ، وهو يدفع (ممدوح) بكعب مدفعه :

ـــ ها هوذا الدخيل ، الذى أبلغناك بأمره ، منذ عدة دقائق أيها الزعيم .

تطلَّع (جوديسيا) إلى (ممدوح) بابتسامة عريضة ، وراح يحكّ ذَقنه بأظفاره ، قائلًا :

ـــ لقد بالغت فى تدخُّلك فى شئوننا أيُها المصرى .. وكان ينبغى ألا تكون هنا منذ البداية ، لولا حماقة أخى ، وإصراره على الانتقام .

قال (ممدوح) متهكِّمًا :

ـــ ولكننى أظن أن وجودى قد أفادك كثيرًا أيها الزعيم الجديد .

توقَّف (جوديسيا) عن حكِّ ذقنه ، وهو يسأله :

ـــ ماذا تقصد ؟

ـــ أظنك تعرف ما أقصده جيِّدًا يا (جوديسيا) .. فلقد أفادك تدخُلى ؛ للتخلُّص من أخيك ، والانفراد بالسلطة والزعامة ، وحصيلة الذهب ، بعد إلصاقك التُهمة بى .. أيقلقك أن أكشف ذلك أمام رجالك ، وأن يعرفوا حقيقة خيانتك لزعيمهم ، وشقيقك .

صمت (جوديسيا) لحظات ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

ـــ أنت جمُّ الذكاء بالفعل أيها الشاب ، ويبدو أننى لم أحسن تقديرك .. ولكن قل ما يحلُو لك ، فهؤلاء ليسوا من رجال (المافيا) ، وإنما هم رجالى أنا .. ولقد جمعتهم من (البرتغال) و (أسبانيا) ، وبعد نقل الذهب ، سيتخلَّص رجال (المافيا) منهم .

ـــ يبدو أنك قد أعددت خُطَّتك بعناية .

ـــ أكثر مما تتصوَّر أيها الذكى .. لقد كنا نخفى الذهب هنا ، أنا وشقيقى ، وأنا أختلف عنه كثيرًا .. فهو متهوِّر حادّ الطباع ، يعتمد على بثّ الرَّهبة فى القلوب ، فى حين أميل أنا إلى

استخدام عقلى هذا ، وأحسب كل خطواتى .. ولقد اعتقدت أن نجاحك فى إلقاء القبض على (فالكونيتى) فى (القاهرة) ، سيهيِّئ لى الزعامة ، وتنظيم الأمور بأسلوبى ، وكسب ولاء الموالين لـ (فالكونيتى) ، ويتيح لى فرصة نيل الذهب ، الذى حصل عليه كل هؤلاء الأوغاد بخُططى وذكائى أنا .. ولقد تركت لـ (فالكونيتى) دومًا مهمة التنفيذ ، وتركت له الانفراد بالزعامة ، التى يحبها ويعشقها ، ولكنه تحوّل فى الآونة الأخيرة إلى عائق أمام خُططى وطموحى ، بسبب طبيعته المغرورة الحمقاء .. وكنت أفضِّل أن أتركه يقضى عقوبة السجن المؤبَّد فى (القاهرة) ، ولكننى لم أكن الرأس الوحيد لـ (المافيا) .. كانت هناك عدة رءوس كبيرة ، طالبتنى بأن أبذل أقصى جهدى لإنقاذه ، وخُططهم جاهزة .. ولم يكن بوسعى أن أعارض ذلك ، وإلا اتُّهمت بالخيانة .. وكان ما كان ، وعاد (فالكونيتى) إلى (نابولى) ، وعادت سخافاته وحماقاته ، وأصبح القضاء عليك هو هدفه الوحيد ، وزاده فرارك من المطعم جنونًا وسخفًا .

غمغم (ممدوح) :

ـــ ورأيت أنت أنه من الأفضل أن تستغل الصراع بيننا لمصلحتك الخاصَّة .

ـــ بالتأكيد .. كانت فرصة رائعة للتخلُّص من (فالكونيتى) ، دون إثارة الشُّبهات .. ولقد هُيِّئَتْ لك كل الظروف المواتية لقتله ، إلا أنك لم تكد تتبيَّن أن مسدَّسه يحوى رصاصات زائفة ، حتى تخلَّيت عن فكرة قتله ، وأردت أن تكتفى بالقبض عليه فقط .

ـــ لذا قتلته أنت ، وأردت التخلُّص منِّى أيضًا ، فتكون بذلك قد نفَّذت الجريمة الكاملة ، وتحوز الزعامة والذهب .

ابتسم (جوديسيا) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى لماذا أدير كل هذا الحوار معك ؟.. ربَّما لأننى أقلُّ قسوة من أخى ، فلست أريد منك أن تفارق هذا العالم ، وأنت تظن أننى قد قتلتك لسبب شخصى .. فلقد وضعتك الأقدار فقط فى طريقى ، وكان من الضرورى أن أتخلَّص منك .

ـــ أما أنا ، فبينى وبينك سبب شخصى .. دماء صديقى ، الذى راح ضحيَّة مخطَّطك الشيطانى ، وذهبُ بلادى ، الذى استوليت عليه بخُططك الشيطانية .. وربَّما كان القدر قد وضعنى فى طريقك ، من سوء حظك فحسب .

أطلق (جوديسيا) ضحكة مجلجلة ، تردَّد صداها مع جدران الكهف ، وقال :

— لقد كنت دومًا أفضِّل الوسائل السريعة ، فى التخلُّص من أعدائى ، ولكننى إزاء غرورك هذا ، أرى أنه من الواجب أن أدبِّر لك ميته أنيقة ، وأن أستمتع برؤيتك تتوسَّل طالبًا الرحمة .. نعم .. سأحترم رغبة أخى الراحل ، وأمنحك ميتة بطيئة ، ولتكن آخر ذكريات الجزيرة ، قبل أن أغادرها بالذهب .

وبإشارة من يده ، التفَّ ثلاثة رجال حول (ممدوح) ، وقيَّدوا معصميه خلف ظهره ، وابتسم (جوديسيا) ابتسامة شرسة مقيتة ، وهو يقول :

— (بوتشى) .. اسبقنى به إلى (دائرة الموت) ، ولكن لا تبدأ العرض قبل حضورى ، فأنا أحب مشاهدته منذ اللحظة الأولى .

ثم عاد يطلق نفس ضحكته المجلجلة ..

* * *

١٢ ـ دائرة الموت ..

دفع (بوتشى) العملاق (ممدوح) ، وهو يلوِى ذراعه خلف ظهره ، ويمسّ عنقه بنَصل سكين حادّ .. وأدرك (ممدوح) أنه يُساق إلى نهاية مروِّعة ، يدلُّ عليها ذلك الاسم ، الذى أطلقه (جوديسيا) على المكان .. وعلى الرغم من القيد الملتف حول معصمه ، نجح (ممدوح) فى حكِّ قطعة الجلد الصناعية الرقيقة ، المثبتة فوق إبهامه ، والتى تبدو فى هيئة جلده الطبيعى ، بأظفاره ، والتقط من أسفلها بمهارة مبضعًا دقيقًا حادًا ، وهو يدعو الله ألا يلمحه العملاق .. وفى حذر وهدوء ، راح يمرِّر النَّصل الحادّ على قيود معصميه ، والعملاق يدفعه أمامه فى خشونة ، حتى وصلا إلى ربوة متوسِّطة الارتفاع ، تطلُّ على بركة طينية رخوة ، ودفع العملاق (ممدوح) بين الأشجار .. وخشى هذا الأخير أن يلمح (بوتشى) محاولته للتخلُّص من قيوده ، فقال محاولًا إلهاءه بالحديث ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة ساخرة :

— أتظن أننا سنجد بعض النسيم العليل هنا ؟

قال (بوتشى) فى غلظة :

ــ اصمت .

تجاهل (ممدوح) قوله ، وواصل سخريته ، قائلًا :

ــ أهذا هو المكان ، الذى تطلقون عليه اسم (دائرة الموت) ؟

هتف العملاق فى حِدَّة :

ــ قلت لك اصمت .

ولكن (ممدوح) واصل سخريته ، قائلًا :

ــ لِمَ لا تبدو اجتماعيًا ؟.. أمِنَ العيب التحدُّث هنا ؟

دفع العملاق ذبابة السِّكين الحادَّة فى عنق (ممدوح) ، واحتقن وجهه غضبًا ، ولكن (ممدوح) دفع عنقه إلى الوراء ، قائلًا :

ــ حسنًا .. لا تتهوَّر ، ولا تنس أن زعيمك قد أمرك بعدم بدء العرض قبل حضوره ، وقد يسيئه ما تفعل الآن .

بدا وكأن تلك العبارة قد امتصَّت غضب العملاق ، وأعادته إلى صوابه ، فقد خفَّف من دفع سكِّينه فى عنق (ممدوح) ، وانتظر حتى حضر (جوديسيا) مع أحد أتباعه ، وواجه (ممدوح) ، قائلًا فى سخرية :

ما رأيك فى هذا المكان ، أيها المقدِّم المصرى ؟

ــ أظنه كان سيصبح رائعًا ، لولا وجودك .

أطلق (جوديسيا) ضحكة مجلجلة ، وتطلَّع إلى البركة ، قائلًا :

ــ كم سيسعدنى أن تحتفظ بتلك الرُّوح المرحة حتى النهاية أيها المصرى .. هل ترى ذلك الرجل .. إنه يسرق منِّى قطع الذهب الصغيرة منذ الصباح ، وعلى الرغم من كراهيتى للخداع ، فقد تركته يسرقنى ؛ ليستحق العقاب المناسب .

شحب وجه الرجل ، وارتجف جسده فى قوة ، وهو يهتف :

ــ إننى لم أفعل يا دون (جوديسيا) .. لم أفعل

فرد (جوديسيا) راحته ، وهو يقول فى هدوء :

ــ وماذا عن تلك القطع المتألقة فى راحتى ؟.. لقد عثروا عليها فى متاعك .

امتقع وجه الرجل فى عنف ، وتراجع وهو يقول فى ارتياع :

ــ الرَّحمة يا دون (جوديسيا) .. الرَّحمة !! لن أعود إلى ذلك أبدًا .. الرَّحمة !!

أومأ (جوديسيا) برأسه مؤيِّدًا وهو يقول :

ـــ أنا واثق أنك لن تفعل يا عزيزى .. لأنه لن يكون لديك العمر لتفعل .

صرخ الرجل فى رُعب ، واندفع محاولًا الفرار ، إلا أن العملاق رماه بسكّينه ، الذى أصابه فى ساقه ، ثم اقترب منه ، وحمله نحو البركة ، والمسكين يصرخ فى ارتياع :

ـــ كلَّا .. ليس البِركة .. الرَّحمة !! الرَّحمة !!

ولكن (بوتشى) ألقاه فى هدوء ، وأخذ جسد الرجل يغوص تدريجيًّا ، وهو يصرخ طالبًا الرَّحمة والعفو ، حتى اختفى فى البركة تمامًا ، وشعر (ممدوح) بمزيد من الكَراهية تجاه (جوديسيا) ، وهو يشاهد ما حدث ، وسمع هذا الحقير يقول :

ـــ ألديك الآن فكرة واضحة عن طريقة موتك أيها المصرى ؟

ـــ إنك لا تقلّ ـــ فى الواقع ـــ عن شقيقك رومانسية أيها الحقير .. بل إنك أكثر اقتصادية ، فأنت تصحب ضحيتك إلى القبر مباشرة .

أطلق (جوديسيا) ضحكة أخرى ، وقال ، وكأنما راقَ له التعبير :

ـــ نعم .. إلى القبر مباشرة .

ثم أشار إلى (بوتشى) ، الذى انقضَّ على (ممدوح) ، وحمله عاليًا ، وهمَّ بإلقائه فى الدائرة ..

دائرة الموت ..

* * *



وحمله فوق كتفيه ، ثم ألقاه خلفه على ظهره ..

١٣ ــ نهاية الشَّيطان ..

فى تلك اللحظة بالذات ، وعلى قيد خطوة واحدة من الموت ، نجح (ممدوح) فى تمزيق قيوده ، وأطلق قدمه كالقنبلة ، فى صدر (بوتشى) ، وانفلت من بين ذراعيه ، ودار على عقبيه ، وكال له لكمة كالصاعقة فى معدته ..

وتراجع (جوديسيا) فى دهشة وذُعر ، على حين أطلق (بوتشى) زمجرة وحشية ، وانقض على (ممدوح) ، وهوَى بخنجره على صدره ، ولكن (ممدوح) انحنى ، وفقد توازنه ، وسقط أرضًا ، على حين انغرز الخنجر فى شجرة قريبة ..

وفجأة .. هبَّ (ممدوح) من سقطته ، واندفع نحو خصمه كالقذيفة ، ومرَّر رأسه بين ساقيه ، وحمله فوق كتفيه ، ثم ألقاه خلفه على ظهره .. وذعر العملاق ، حينما كاد يسقط فى دائرة الموت ، فهبَّ واقفًا ، وانتزع سكِّينه من الشجرة ، وقبض على مقبضه بقبضتيه ، وقفز به نحو (ممدوح) ، الذى راوغه فى براعة ، ولكن نصل السكين مزّق جزءًا من سترة

(ممدوح) ، وكاد يمزّق ساعده ، لولا أن أطلق (جوديسيا) رصاصة غادرة ..

كان من المفروض أن تصيب تلك الرصاصة (ممدوح) فى ظهره ، ولكن مناورته مع العملاق وضعت هذا الأخير فى مرمى النيران ، فاستقرّت الرصاصة بين ضلوعه ، واتسعت عيناه ، وجحظتا فى ألم ودهشة وذُعر ، ثم هَوى فى بركة الموت ، وتراجع (جوديسيا) فى غضب وتوتُّر ، وقال له (ممدوح) ، وهو يتقدَّم نحوه :

ـــ أعُدْتَ لاستخدام الوسائل السريعَة فى القتل .

هتف (جوديسيا) فى غضب ، وهو يصوِّب إليه مسدَّسه :

ـــ نعم .. لقد أصبحت أفضَلها .

وفجأة .. مرقت فوقهما هليوكوبتر ، تابعة للشرطة الإيطالية ، فارتبك (جوديسيا) لمروقها المباغت ، ورفع عينيه إليها على نحو غريزى ، وكان هذا هو كل ما يحتاج إليه (ممدوح) ، فقفز ملتقطًا السكين ، الذى أسقطه (بوتشى) ، وألقاه نحو (جوديسيا) ، فأصاب به يده القابضة على المسدَّس ، فصرخ هذا الأخير ألمًا ، وترك

مسدَّسه يسقط ، فقفز (ممدوح) ، وركله فى فكِّه ركلة قوية ، ألقت جسده البدين أرضًا ، وأسرع (جوديسيا) ينتزع خنجرًا صغيرًا ، ولكن (ممدوح) قبض على معصمه ، ولوَى ذراعه خلف ظهره ، فشلَّ حركته ، فى نفس اللحظة ، التى هبط فيها رجال الشرطة الإيطالية على الجزيرة ، وراحُوا يطلقون النار على أعوان (جوديسيا) الذين تصدُّوا لهم ، وأحاطت زوارق الشرطة باليخت ..

باختصار .. لقد انتهت العملية بنجاح ..

* * *

فى الوقت الذى غادر فيه (ممدوح) مطار (روما) ، فى طريقه إلى (القاهرة) ، كان (جوديسيا) وأعوانه يستعدون لمحاكمة كبرى ، من تلك المحاكمات التى يكون لها ـــ عادة ـــ وقع هائل فى كل الأوساط ، والتى تحيطها وسائل الإعلام بالضجة الكافية ، كلما وقع أحد رءُوس المنظمة العتيدة ، المعروفة فى عالم الإجرام باسم (المافيا) ..

وكان لنجاح (ممدوح) فى التصدِّى لاثنين من الرءُوس الكبيرة للمنظمة إضافة جديدة لمغامراته الناجحة ، وشهرته كواحد من أبرع رجال الأمن فى العالم ..

ولكن الشهرة والنجاح لم يكونا ما يقلق بال (ممدوح) ، فى تلك اللحظة ، وهو يتطلّع عَبْر نافذة الطائرة إلى السُحب ، وإنما كل ما كانِ يعنيه هو أنه قد أدَّى واجبه ، وحطَّم مجرمًا هدَّد أمن بلاده واقتصادها ، وتسبَّب فى مصرع العديديـن ، واستعاد الذهب ، الذى سيعود إلى اقتصاد (مصر) ..

والآن فقط يستطيع أن ينام ..

وأن يبتسم ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

تحدى المافيا

وفجأة قفز (ممدوح) عَبْر الواجهة ، وحطَّم زجاجها ، واندفع إلى الخارج ، وشهق المارة فى دهشة وذعْر ، وتعالت صرخاتهم ، على حين تطايرت الرصاصات خلف (ممدوح) كالمطر .

المؤلف



أ . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

٣٩

العدد القادم كهف الشيطان

الثمن فى مصر

قرش جنيه
١٫٠٠

وما ... دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم